Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سقى دار ليلى حيث حلّتْ رسومها عِهادٌ من الوسمى وُطْفٌ غيومها[٥٠]
فكم ليلةٍ أهدت إلىّ خيالَها وسهلُ الفيافى دونها وحزُومها[٥١]
تطيب بمسراها البلاد إذا سرت فينعم رِيّاها ويصفو نسيمها

فواضح من هذا المطلع رضاه عن ليلى ، وسعادته بمسلكها وموقفها منه ، ولذلك يدعو لها بخير ما تعودوا الدعاء به وهو الغيث الكثير ، ثم يسترسل فى الإشادة بمزاياها ، وهذه المشاعر هى التى يشعر بها الناس ومنهم البحترى نحو الممدوح .

ولكن الأحوال تسوء من حول المهتدى بالله ، ويتألب الطامعون والمتآمرون عليه ، ويتكالبون على سلطته ، وتأخذ قوة حكمه فى الوهن ، وتبدأ قبضته فى التراخى عن زمام السلطة ، ويصبح واضحا أن مدة حكمه التى لم تكمل عاما قد بلغت نهاية الشيخوخة ، ورمز الشيخوخة الشيب ، وها هى ذى نفسية البحترى نجد فيها صدى هذه الأحداث ، بما تحمل من إحساس بنهاية الوضع التى تشبه الشيب ، ومن تمنى دوام هذا الوضع المحبوب ، ومن سخط على الدنيا التى لا يدوم فيها عيش ، فيقول أيضا فى مدح المهتدى بالله :

رأتْ وَخْط شيبٍ فى عِذارى فصَّدتِ ولم تَتَّظر بى نوىً قد أجَدَّت[٥٢]
تَصُدُّ على أنَّ الوصال هو الذى وددتُ زمانا أن يدومَ وَوَدَّت[٥٣]
هل العيشُ إلا بُلْغَةٌ من دُنُوِّها أُعيرَتْ فزالَ العيشُ حين استُرِدَّت[٥٤]

فرغم أن القصيدتين كلتيهما فى مدح المهتدى بالله ، وكلتاهما خلال عام واحد هو مدة خلافته ، إلا أن المطلع فى كل منهما مختلف الدلالة لاختلاف نفسية الشاعر ، نتيجة لتغير الأحوال المحيطة به والمؤثرة فى نفسه ، وحين نلقى نظرة على أبيات كل قصيدة نجد أنها مؤيدة لدلالة المطلع كالمنهج الذى رأيناه فيما سبق من قصائد .

ولكننا لو تأملنا مطالع البحترى فى مدح الخليفة المعتز بالله ، وهو الخليفة السابق للمهتدى بالله ، والذى ساءت حوله الأحوال من تسلط الترك ، وتآمر الفرس ، وتمرد الطامعين حتى أفلت من يده زمام الأمور ، ولم يجد مفرًا من أن يتنازل عن الحكم ،